قافلة الأدب
في أصل الحيوان

١٢٤- صورة المعشوق

فـــى عيونـــى دائمـــا
تـــدور صـــورة المعشـــوق
سواد عينى أحمـر بلـون الـورد
فى أمـل اللقـاء بلطيـف البـدن[١]
مـن غـير دمـوع العـين الدمويـة
لا توجـد لـدى خمـر[٢] ولا كـأس
فـى السـعى للقـاء مهـدئ القلـب
مـا رأيـت هـدوءا مهدئـا
جعـل الله ذقنـه بـئرا
أقـع فيهـا عنـد كـل خطـوة
إن كـان الخـال[٣] عبـدا لوجهـه
فـإننى عبـد لعبـد
إن كـان مخفقـو العشـق كثـيرون
فـإن هـذا الإخفـاق مـرادى
إننـى راض فـى العشـق
أمشـتهر أنـا بـالطيب أو السـئ؟

---

(١) لطيف البدن: المراد المعشوق والمحبوب.

(٢) خمر: وهى عند الصوفية بمعنى العشق الإلهى. راجع ص ٣٢٥ هـ ٤ من هذا الكتاب.

(٣) الخال: الشامة، وهو عند الصوفية الوحدة الحقيقية. راجع ص ٣٣٨هـ ٣ من هذا الكتاب.

أقبـــل فـــى الحـــب والعشـــق
الملامـــة[1] مـــن الخاصـــة والعامـــة
أطلـــب بـــــدلا مـــــن الدعـــــاء
شـــتائم مـــــن فـــم الحبيـــــب
إن دعـــائى وســـلامى هـــــذا
أقدمهمـــا فـــداء لشـــتائمه[2]
حديثـه المـر ألـذ فـــى نظـــرى
مـــــن الزبيـــــب واللـــــوز
مـــــن بلغنـــــى رســـــالته
فهـــو مســـيح[3] بالنســـبة لى[4]
إن وجـــه الحبيـــب بـــدر كـــامل
فقـــد رآه عبـــد الرحمـن كـــاملا

" ١٤٦١ "

---

(١) الملامة: وهى فى المصطلح الصوفى قطع الصوفى كل ما بينه وبين الخلق من أسباب. راجع ص ١٣٦ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) فى ترجمة هذا البيت قدمت الشطرة الثانية على الشطرة الأولى.

(٣) هذا المعنى ينظر إلى هذه الآية الكريمة: ﴿**..أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله..**﴾ سورة آل عمران الآية ٤٩.

(٤) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

' ١٢٥- مناولة الكأس تكريما '

لـو أكرمنـى السـاقى[١] بإعطـائى كأسـا واحـدة
فهل سيكون هناك احـترام أكثر مـن هـذا الاحـترام؟
يكفينـى أنـا هـذا الفيـض مـن فيوضـات الخمـر[٢]
لأغسـل بـه هـذه الجبـة الزرقـاء اللـون[٣]
إن كـان شـرب الخمـر يسـئ إلى السـمعة فـى العـالم
فـإننى قـد وضعـت الغـيرة والاسـم تحـت الأقـدام
ياقوتـة حمـراء تسـاوى فـى المـيزان حجـرا أحمـر
فالعشـق كذلـك مسـاو بـين الخاصـة والعامـة
إن محبـى الوجـوه البيضـاء والضفـائر السـوداء
مـاذا يهمهـم فـى الحاجـة إلى الكفـر والإسـلام؟
إن المجنـون الـذى فقـد العقـل مرفـوع القلـم
مـا يـأتى أمامـه مـن الحـلال والحـرام سـيان
فالعشـق الحـلال هـو الـذى واجـه عبـد الرحمـن
ففـى الحـلال دائمـا يكمـن الاحـترام " ١٤٦٨ "

---

(١) الساقى: هو الفياض المطلق عند أهل التصوف. راجع ص ١٦٣ هـ ١ من هذا الكتاب

(٢) الخمر: كناية عن العشق الإلهى. راجع ص ٣٢٥ هـ٤ من هذا الكتاب.

(٣) الزرقاء اللون: إن الكلمة المستعملة فى الأصل الأفغانى هى أرزق، ويبدو أن ذلك من أخطاء النساخين والصحيح هو أزرق أعنى زرقاء اللون كما هو فى الترجمة.

' ١٢٦- العشق والسلطان محمود '

انظـــر إلى الســـلطان محمـــود[1] دائمـــا
حيـــث جعلـــه عشـــقه عبـــدا لعبـــد
العمل الصالح هـو هـدف الصـالحين الذيـن
لا ينظرون إلى الوقت صباحا كان أو مساء
مـن لا يكـون متوجهـا بقلبـه فـى الصـلاة
لا ينبغـى لـه ذلـك مقتديـا كـان أو إمامـا
من كان صادقا فى حبـه مثـل مجنـون ليلـى
فهو الذى يقول عليه عبـد الرحمـن السـلام
تطـــرب بـــالنغم والرقـــص والضحـــك
حسان باكرام من روعـة شعر عبد الرحمـن

" ١٤٧٣ "

' ١٢٧- الموت والفراق '

لمـــاذا لا أمـــوت مـــن شـــدة هـــم الفـــراق؟
لمـــاذا لا أمـــوت مـــن مثـــل هـــذا المـــأتم؟

---

(١) السلطان محمود: أشهر سلاطين الدولة الغزنوية فى أفغانستان، اشـتهر بحبـه الشـديد لعبـده أياز الذى اشتهر بوسامته وتفانيه فى حبـه لسـيده السـلطان محمـود الغزنـوى هـذا. راجـع ص ٢٢٣ هـ١ وهـ٢ من هذا الكتاب.

حـين يفـارق أحـد الأحبـاب حبيبـه
فلماذا لا أموت مـن ظلـم هـذا الـدور؟
مـن يضحـك علـى بكـائى كـل صبـاح
فلماذا لا أموت من مثل هـذا الصبـاح؟
المحب الذى لا يـرى محبوبـه، فهـو مـوت لـه
فلمـاذا لا أمـوت مـن معشـوقى؟
مـن يـؤدى ظهـره للـوردة بقليـل مـن الحـر
فلماذا لا أموت من الندى الذى لا وفاء لـه؟
إذا كان بجوارك مشقة الموت يا عبـد الرحمـن
فلمـاذا لا تمـوت قبـل تلـك اللحظـة؟

" ١٤٧٩ "

' ١٢٨- ضرب الرأس بالحجر '

إذا كـان ذلـك الحبيـب يضربنـى بحجـر علـى رأسـى
فإنـه لا سمـح الله أن أتنحـى منـه إلى جهـة أخـرى
إن العشـق والسـمعة والغـيرة بعيـد بعضهـا عـن بعـض
إلى متى سيراودنى فـى حيـاتى التفكـير فـى السـمعة والغـيرة؟
إن الله تعـالى قـد جعلـه أحلـى مـن قصـب السـكر
مـا يـأتينى مـن يـد الحبيـب وإن كـان سـهاما مـن خشـب

فـــى أمـــور فـــراق الحبيـــب والمشـــغولية فيهـــا
تتلقـــى نـــاصيتى ســـيف الإفرنـــج دائمـــا
أقـــوم بخدمـــة المعشـــوق كعبـــد فـــى العشـــق
لا أتقاضى مرتبا شهريا من بهلول[1] ولا من أورنـك زيـب[2]
الدخـان الأخضـر تـاج علـى رأسـى، والتكيـة عـرش
أتنـاول بـالأكل غبـار ثروتـى وترابـى كالفقـير
مـن أجـل أن أصبـح فـاقدا للعقـل غـير واع
أتنـاول فـى همـوم الهجـران كميـات كبـيرة مـن الحشـيش
كمـن يتمتـع بالدنيـا ومـا فيهـا مـن النعيـم
مثـل ذلـك أتنـاول أنـا سـم جفـاء الحبيـب

---

(١) بهلول: هو السلطان بهلول اللودى أحد أشهر ملوك الأسرة اللودية، بل هو مؤسس هذه الأسرة الأفغانية الحاكمة التى حكمت فى الهند للمرة الثانية من سنة ١٤٥١ - ١٥٢٦م. وقد أسس السلطان بهلول اللودى هذه الأسرة واستولى على الحكم سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م، واستمر حكمه لمدة ثمان وثلاثين سنة، وتوفى سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م، وكان عمره عند وفاته ثمانين سنة، ومن أشهر أعماله أنه شارك كل القبائل الأفغانية فى الحكم وجعل بلاطه منتدى أدبيا للشعراء الأفغان فى الهند وكان هو نفسه شاعرا.

(٢) أورنك زيب: أحد أشهر ملوك المغول فى الهند، هو الملك الجبار السادس فى الأسرة المغولية. وقد تولى الحكم سنة ١٦٥٨م باسم أبو المظفر محى الدين عالم كير، ومواقفه مع الأفغان وبخاصة مع الزعيم الشاعر خوش حال خان مشهورة فى التاريخ الأفغانى.

إن كـــل مـــا يمـــر بحلقـــى ويعـــبر يصبـــح سمـــا
فـى البعـد عـن الحبيـب، وإن كـان كلـه قرنفـلا أو قافلـة[1]
إلى متـــى يمكـــن أن أعيـــش أنـــا عبـــد الرحمـــن حيـــا
حيـــث أدور كالفراشـــة حـــول الشـــعلة المشـــتعلة؟

" ١٤٨٩ "

' ١٢٩- رأسى فداك '[2]

رأســـى ليـــس بلائـــق لأقدمـــه فـــداء لرأســـك
ليـــس لـــدى ذهـــب لأكومـــه تحـــت رجليـــك
بـدأ عمـل العشـق لى فـى الأول أمـرا سـهلا جـدا
أمـا الآن فإننى محتـار فـى كيفيـة قيـامى بهـذا العمـل
ادعـــى خلـــق كبـــير التفـــانى فـــى حبـــك
ما جعل الله أحدا كما جعلنى الحب مشغولا بآلام نفسى

---

(١) قافلة: القافلة شجيرة أزهارها شبيهة بزهرة الفول، وتسمى بالأفغانية " لاچى " وبالفارسية " هل " أو هيل، وبالعامية حبهان. وشجيرة الهيل هذه تستعمل ثمرتها فى إعطاء رائحة طيبة لبعض الأطعمة.

(٢) ديوان عبد الرحمن ٩٥- ٩٦، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م. ولم يأت ذكرها فى ديوانه مقدمة مولا عبد القادر، أكاديمية البشتو، پشاور ١٩٨٧م، وكذلك لم يأت ذكرها فى ديوانه مقدمه سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ.

لا دواء لجـــراح العشـــق غـــير التســـليم
ليـس هـذا بـألم يمكـن أن أقـوم بدفعـه بـالدواء
لا يتعـامل العـدو مـع الأعـداء بمثـل هـذه الأعمـال
مثـل مـا حـيرتنى أعمـالك القاسـية فـى عشـقك
إن أراد الله سـيتحول الكـافر مسـلما
حـين أبـين حسـنك ولطفـك لكـل كـافر
يبـدو واضحـا إن عـاجلا أو آجـلا
إننـى أنـا عبـد الرحمـن سـأمزق فتحـة القميـص بيدى

" ١٤٩٦ "

' ١٣٠- المجنون والخروج على الرسوم '

مـن استولى علـى عقلـى وجعلنـى مجنونـا؟
مـن أخرجنـى مـن التقـاليد والعـادات؟
لست أدرى من يرتكب هـذه الأعمـال ضـدى؟
من جعلنى مجنونـا واخـذ لبـى. بسـحر نظراتـه؟
ما هذه العيون، ما هذه الجفون، ما هذه الغمزة؟
مـن أغرقنـى كالشـهيد فـى الـتراب والدمـاء؟
لم يكـن لـدى قـدرة تحمـل الفـتن
فمـن جعلنـى مفتونـا بفـتن العيـون السـوداء؟
أنـا عبـد الرحمـن ليس لـدى خبر عـن نفسـى
مـن جعلنـى هكـذا مقلوبـا محزونـا؟ " ١٥٠١ "

' ١٣١ـ الدعاء والوفاء '

أدعـــو الله رافعـــا يـــدى فـــى الصبـــاح والمســـاء
طالبـــا مـــــن الله حبـــــك ووفـــــاءك فيـــــه
لا أعـــرف الكـــذب، ولا الصـــدق، إن تصدقنـــى
من أجلك بدأت أقوم بـالكذب وأقـوم بـالصدق أيضـا
أنـــت الكـــل.. أنـــت تضحـــك، وأنـــت تبكـــى
أنـــا بنفســـى.. لا أضحـــك، ولا أبكـــى
إن لم تكـــن أنـــت، فقـــل لى مـــن هـــو؟
مـن جعـل رأسـى عاريـا، ومـن جعلنـى حافيـا؟
لا وجـود للنـوم ولا للضحـك فـى أرض الفـراق
كيـف يمكننـى الراحـة فـى صحـراء كربـلاء
كـل يـوم مـن أيـام عمـرى حـين يمـر فـى همـك
فـإننى أعلـم بـأننى أقـوم بالجهـاد كـل يـوم
لم تتعـوج شـعرة واحـدة مـن شـعر بدنـي
هكـذا جرحـت قلبـى وأصبتـه بجـراح خفيـة مؤلمـة
منـذ أن تقمصـت ولبسـت رأس العشـق ورجلـه
فصار عبد الرحمن بهذا الرأس والرجل بغير رأس ورجل

" ١٥١٠ "

' ١٣٢ - آلامك غالية '

لـــن أبـــدل آلامـــك بـــألف دواء للعـــــلاج
لـــن أبـــدل فاهمـــا هـــذا الربـــح بالخســـارة
إن أعطـــانى أحـــد الدنيـــا والعقبـــى كلتاهمـــا
لـــن أعطيـــه عشـــقك بهـــذا ولا بـــذاك
إلى الوقت الذى لم يدخل فيه السيف فـى جنبـى
لـن أعطى مسـلّما جنبـك بسـهولة لـلرقيب
إن وقعـــت ضفـــائرك فـــى يـــدى مـــرة
فـإننى لـن أعطـى شـعرة منهـا ثمنـا للعـالم كلـه
لـــو تمكنـــت مـــن الحصـــول علـــى تقبيلـــك
فـإننى لـــن أبـــدل هـــذه النعمـــة بمـــائدة الجنـــة
إن لم أتمكـن مـن مشـاهدة عينيـك، بمشـيئة الله
إلى ذلـك الحـين لـــن أعطـــى لعزرائيـــل نفســـى
إن المعاشـــيق ديـــن العشـــاق وإيمـــانهم
لـــن أعطـــى لأحـــد دينـــى وإيمـــانى
ما قيمة الضفائر الأخـرى فـى مقـابل ضفـائرك؟
لـن أعطـى ريحانـة المـرج لقـاء التـبن والقـش
حـرام علـى عبـد الرحمـن حمـر شـفائفك
حتـى لا أعـطى كأسـا من دمى غرامة لذلـك

" ١٥١٩ "

' ١٣٣- لست أفهم '

لســـت أفهـــم مـــا هـــذه الحيـــاة
رؤيـــا أم خيـــال أم خدعـــة؟
حـين أجـد كـأس شـفائفه بدمـاء روحـى
لســت أفهــم أزلال هــو أم دم الكبــد؟
إننـى محتـار بـين الفراشـة والبلبـل
لسـت أفهـم أوجهـك نـار أم وردى اللـون؟
مـع التمشـيط انفـرد خيـط مـن ضفـائرك
أم تقطـع عـرق مـن عروقـى لسـت أفهـم؟
قـد أقـامنى العشـق علـى مقـام
لســت أفهــم أوصــال هــو أم فــراق؟
إننـى فـى حـيرة مـن علامـة قلبـى
لسـت أفهـم أموسـى هـو أم قـارون؟
قد جعل وجه عبد الرحمن مصفرا كالزعفران
يعلـم الله إن كـان ذلـك عشـقا أم طاعونـا

" ١٥٢٦ "

' ١٣٤- أفهم شرابك الجديد '

أفهم بأنك قد شربت حمرة جديـدة مـرة أخـرى
قمـت بزراعـة الـورد علـى وجهـك أفهـم

لـو خضبـت يديـك بالحنـاء ألـف مـرة
فـإننى أفهـم بـأنك قـد غسـلتهما بدمـائى
إن لم تكن المعركة لقتلى، فما هو الأمر الآخـر؟
حيـث أفهـم بـأنك قـد دعـوت الرقبـاء
حـين قربـت أنـت والرقيـب الأذن معـا
فـإننى فهمـت وبكيـت فـى تلـك السـاعة
مـا الحاجـة بـأن يقرأنـى الملا رسـالتك؟
مـا كتبتـه فيهـا بشـأنى أفهمـه مقدمـا
لماذا تشـرح لى جـورك وظلمـك وجفـاءك؟
أفهـم بـأننى قـد رأيـت وشاهدت كـل ذلـك
إن الرقبـاء يعتـدون علـى عبـد الرحمـن لأنـك
قـد قربتهـم وأمسكتهم بجوارك، أفهـم ذلـك

" ١٥٣٣ "

' ١٣٥- الهلاك والرهبة '

لا خـوف ولا رهبـة لديـك مـن المـوت دائمـا
لقـد نسـيت مثـل كـل هـذا الهـم بـأى هـم آخـر
ستنسـى كـل الهمـوم والغمـوم الأخـرى
لـو نـزل وحـل عليـك هـذا المـأتم
الذى لا يستطيع الجريح العثـور عليـه بـالبيع والشـراء غـدا
يمكـن العثـور علـى ذلـك البلسـم اليـوم مجانـا

ينبغـــى لـــك القيـــام بـــإعداد الأدويـــة
حيـث مـا أصـابك حتـى الآن سـيف الأجـل
خذ الزاد معك عندما يرحل بدنك من هذه الدار
ليست هناك دار أحكم بناء من هذه الدار
ليس الذهاب والرحيل بهذا الطريق بسهل
فيه صعوبات وعقبات فى كل وقت وعند كل خطوة
إن كنت تخاف من ظلم الناس وجورهم
فأنت أيضا لا تظلم أحدا من الناس
إن كنت تأمل فى الرحمة والفضل والكرم
فينبغى لك أن تكون كريما رحيما على الجميع أيضا
ستجد كل ما تفعله مع الآخرين وستلاقيه
لا تذهب ثمرة أية بذرة من البذور هدرا
كل أجر من الأجور يساوى مقدار العمل
فكلاهما متحدان متشابكان بعضهما ببعض
فأنت الآن مخير بين القيام بالعمل الطيب أو السئ
فكلاهما.. الطيب والسئ تتم كتابتهما بالقلم
لا تنسى الله بحيلة البحث عن الرزق، واعلم بالتأكيد
أن رزق الإنسان وطعامه أقدم من الإنسان
إن كنت تظن زيادة شئ فى الرزق بحرصك
لن يزيد شئ أبدا بمقدار سم الخياط

لو بحثت عنه بألف طريق، وقمت بالتردد عليه ألف مرة
لن تستطيع أن تزيد أو تنقص ما قدره التقدير
لا تكن حريصا مطاعا للهوى، واذكر الله
فهو كاف، يكفى فضله للعرب والعجم
واجب عليك عبادة الله مالكك
لا الجيوش والخزائن، ولا الملك والحشم
كسرة من فتات الخبز، وشال (رداء) واحد لكفاك
والأشياء الأخرى الباقية إسراف مسلم به
الغرض من الطعام هو القوت الذى لا يموت معه الإنسان
لا اللحوم والسمن والأرز أو القمح بالضرورة
الغرض من الثياب هو ستر الإنسان نفسه
لا الحرير ولا القماش المطرز بالذهب، ولا التاج والعلم
كيف يمكنك أن تقوم بمعالجة ظلام القبر
إن كنت تخاف فى الظلام فى هذه الدنيا؟
حينما يغلب عليك الحرص والطمع اذكر الموت
هذا هو العلاج القاطع لذلك المرض
إن الغفلة لا تناسب الشيوخ والمعمرين أبدا
فى وقت الصباح والسحر لا يجوز النوم
يستقيم الثعبان عندما يصل إلى فتحة الغار
وأنت قد بلغت إلى حافة القبر و لم تستقم

تقـوم بـأمور الدنيـا منحنيـا ظهـرك طـوال العمـر
و لم ينحـن ظهـرك لأداء ركعتـى الصـلاة نفـلا
إن كنـت شـجاعا ابـك علـى نفسـك أولا
قبـل أن يبكـى عليـك الأقربـاء فـى العـالم
حين يبكى عليك الأقربـاء بـالضرورة، فكـن منصفـا
يـا عديـم الإنصـاف مـا سـبب سـرورك ورضـائك؟
إن كنـت أنـا لا أتكلـم، فـافتح أنـت عينيـك
تشـتت بيتـك، أأنـت حيـوان أم ابـن آدم؟
يـا عبـد الرحمـن مثلمـا أنـت ملـوم مؤنـب أمـام الله
لـن يكـون فـى العـالم ملـوم مؤنـب أخـر أبـدا

" ١٥٦١ "

' ١٣٦- الصبر وجفاء الحبيب '

إلى متى أداوم على الصبر لتحمل جفاء الحبيـب؟
إلى متـى أقـوم بتدويـر الشـمعة أمـام الشـمس؟
مـن الكـذب أن يجتمـع العشـق والصـبر معـا
كيـف يناسبنى أن أقـوم بهـذا الادعـاء كاذبـا!
أيهـا النـاصح! لا توجـه إلى نصيحتـك
إننـى أقـوم بزراعـة بذرتـى هـذه لنفسـى

أعلم أن العشق نار، ولكن الله جعلنى عاشقا
أقوم بإلقاء نفسى فى النار وأنا عالم
جعل الله تصرفى وعملى فى يد الحبيب
إلى أية جهة يشدنى أسير وراءه وأذهب
إن فتحة قميصى فى يد مودة الحبيب
إننى لا أملك فى هذا العمل عذرا
إن للعشيقات حقا على المحبين والعشاق
فلماذا أقوم بتبديل الحق على الباطل؟
وبما أننى قد فرضت على نفسى مودة الحبيب
فلماذا أقوم بالإعراض عن أداء الفرض؟
ما هذه الحياة التى لا أرى فيها الحبيب بعينى
وأقوم أنا عبد الرحمن بفتح عينى فى العالم؟

" ١٥٧٠ "

' ١٣٧- غمزة وفناء '

بغمزة واحدة من عينيه فنيت نفسى
من الرأس إلى النهاية أصبحت بلا أساس بلا بقاء
إننى لم آخذ نفسى من ألم هم الحبيب
افتضح أمرى وإن لم آخذ نفسى

من الأفضل أن ينسكب وينصب بدنى فى العشق
كنت قطرة الندى أصبحت الآن بحرا
إننى أنظر إلى وجه الحبيب، والحبيب إلى
فحين بدأت المشاهدة أصبحت موضعا للمشاهدة
كنت فى فراقه درويشا أحمل على عاتقى جبة الدراويش
فأصبحت فى وصاله ولقائه ملك الأمراء
إن الغربة هى من نصيبى فى قريتى ومنزلى
أصبحت وحيدا فريدا كالدرة اليتيمة فى الصدف
إن العيون السكرانة اختلست عنى صفة المستورية
لذلك فإن عبد الرحمن مفتضح أمره بين الناس
إن السلطنة تقوم بدعاء الدراويش
أنا عبد الرحمن أصبحت ملكا حين أصبحت درويشا

" ١٥٧٨ "

' ١٣٨- الشوكة والعالم '

أصبحت هناك إنسانا سيئا مذموما إلى حد
صرت فيه شوكة فى عيون العالم كله
إن جميع الناس فى الدنيا يعيشون ويعملون معا
إلا أنا فقد أصبحت فى ذلك خشبة عوجاء
إن الناس فى العالم كله يتنحون عنى
ألبس رداء أبيض، ولكننى أصبحت فخارا أسود

إن الحظ الطيب ليس فى حاجة إلى الزخرفة أبدا
قام الجهاد وتم، لا يهم إن كنت مومنديا[1] أو داود زيا[2]
إن ابن نوح عليه السلام كان حفيد جد صالح
أظن بأننى أصبحت حفيد جد صالح أيضا
إن كل وسواس ينشأ من الاحتياط الشديد
وأنا قد أصبت بجنون الوسواس من شدة الذكاء
قد نزل على الآن كرم عطاء الآدمية
حين أصبح عبد الرحمن حارس حارة الحبيب

" ١٥٨٥ "

' ١٣٩- الخلق الطيب '

إننى بطبعى الحسن فى غنى عن أذى الحاقدين
وبحلمى وصبرى كالماء أكافئ النار جزاء لها
إننى أبدو وأظهر لجميع الناس بشكلى الحقيقى
وإننى كالمرآة بلا مواراة ولا رياء

---

(١) مومنديا: مومند أو مهمند قبيلة من القبائل الأفغانية المشهورة ينتمى إليها الشاعر. راجع ص ٢٢٦ هـ٣ من هذا الكتاب.

(٢) داود زيا: من بنى داود، وداود أحد أجداد الشاعر، وذريته تشتهر باسم " داود زى " ومعناها بنى داود. راجع ص ٢٢٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

زاد عمـرى وطـال بـالصدق والاسـتقامة
أعيـش دائمـا نـاضرا طريـا كشـجر السـرو
إننـى أبـدو بملابسـى البيضـاء معروفـا
لأننـى كالسـحاب.. جوهـر وبحـر
إن قنـاعتى أطلـس وحريـر تحـت الجبـة..
سلطان العالم كله فى الخفاء، وفقير فى الظاهر
إننـى صـامت كالبرعومـة بمائـة لسـان
ونـاطق كالرائحـة بـالفم المقفـول
لقـد حصلـت علـى رؤيـة الحبيـب بالبكـاء
وحيـد مـع الـوردة وفريـد معهـا كـالندى
مـن فقـد طريـق العشـق وضـل
فـإننى أنـا عبـد الرحمـن مرشـد الضـالين

" ١٥٩٣ "

' ١٤٠- الرحيل السريع '

إننـى راحـل مـن هـذه الدنيـا بسـرعة
كورقـة فى الخريـف، إحدى رجلى فـى الركـاب
لـو قمـت ببنـاء ألـف عمـارة فـى العـالم
فـإن النتيجـة فـى النهايـة دمـار بيتـى
إن كـان أصـل حيـاتى وأساسـها مـاء
إلا أننـى حبـاب فـوق سـطح المـاء

جعـــل الله هـــذا العـــالم مذبحـــا لى
أقـف معقـود الرجلـين فـى فنـاء مـنزل الجـزار
فـــإذا لم يكـــن لـــدى علـــم بمعرفـــة الله
يظهـر مـن ذلـك بـأننى إمـا شـيطان وإمـا دابـة
إذا كـان شـكلى شـكل إنسـان، مـاذا أفعـل بـه؟
لأننـى فـى المعنـى محسـوب علـى ذوات الأربـع
كـــالصنم ينـــام وعينـــاه مفتوحتـــان
هكـــذا أنـــا أخذنـــى النـــوم فـــى يقظـــة
لم أبـــرد قلبـــى بالطاعـــة والعبـــادة
كـاللحم المشـوى أنـا دائمـا فـى دوامـة الذنـوب
حـــين أنظـــر إلى ذنوبـــى وأفكـــر فيهـــا
فـإننى أسـتحق كـل عـذاب وكـل عتـاب
مثـل مـن ركـب الحمـار واسـود وجهـه
هكـذا أنـا ضعيـف أمـام الله وعديـم الطاقـة
إذا كان القول الحسن على لسانى، فإنه جهاد وتم
وإذا لم يكن عندى أنا عبد الرحمن عمل فإننى كذاب

" ١٦٠٥ "

' ١٤١- الحزين والمحبوب '

إن كنـت قريبـا مـن قلبـه ويذكرنـى ألـف مـرة
فإننى لست سـعيدا حيـث لا أرى الحبيـب بعينـى

إذا وعدنـــى الحبيـــب للوصـــال ألـــف وعـــد
فإننى من شدة الضجر والجزع لا أصدق ذلك
إنـــه لا يكتفـــى علـــى جفائـــه ووفائـــه
فأنا شديد الحذر عما يفعله المدللون من الإنصاف
مـا الأمـل المعقـود علـى حاجـة غـير المحتـاجين؟
بالأمس كنت السلطان خسرو[1]، واليوم فرهاد[2]
إن اشتعلت النـار مـن يـد الحبيـب فـوق بدنـى
فأنـا كالشـمعة أقـف مسـتقيما فـى مقـامى
إن الهـدوء بـدون الحبيـب يصبـح ضجيجـا
فـإننى كـالريح فـى حركـة دائمـة ليـلا ونهـارا
إذا كان الحبيب جالسـا فـى حضنـى طـول العمـر
سأكون أنا فى صـراخ واستغاثة مـن هـم الفـراق
لم أتمكن فى وقت ما من العثور على مـراد قلبـى
فقـد خلقنـى الله فـى الأصـل محرومـا غـير موفـق
إلا أنه يحتمل أن أعيش على أمل الوصال لمدة عـام
أما فى أسبوع الهجـران فـإننى بـلا أسـاس هكـذا

---

(١) السلطان خسرو: هو خسرو پرويز بن هرمز الذى كانت له قصـة حـب مـع شـيرين التـى كانت تميل إلى فرهاد. راجع ص ٣٥٧ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) فرهاد: اسم بطل قصة مشـهورة فـى الآداب الأفغانيـة، وهـو عشـيق شـيرين التـى كـانت عشيقة السلطان خسرو. راجع ص ٢١٩ هـ٢ من هذا الكتاب.

لا نتيجة أخرى لذلك غير الهم والغم
فإننى فى حيرة حقا من عدل العشق وإنصافه هذا
لم أكن أتوقع الهجران والفراق فى الوصال
أما الآن فإننى حيران متحير من هذا الفساد
من غير العشق الذى أصبح كحبل اللجام فى أنفى
فإننى حر منطلق من كل قيود الحياة
إن كنت تبيعنى أو تشترينى، لا حيلة لى
فإننى أنا عبد الرحمن خادم الحسان

" ١٦١٨ "

' ١٤٢- الفقير والأمير '

إن عدنى أحد من الفقراء فإننى فقير
وإن عدنى أحد من الأمراء فإننى أمير
أطلب المال لتقديمه صدقة للحسان
وليس حبا فى المال وحزنا لأجله
إن القيام بخدمة جبة الدراويش صعب، وإلا
فإننى خير من يقوم بتلك الأعمال المفضلة
إننى اتعظ.. أقبل النصيحة، وأوجه النصح
فإننى مريد بعض ومرشد بعض
فى الهجران يصاحبنى خيال الحبيب وطيفه
وفى السجن أسير مسجونا مع يوسف عليه السلام

فـــى الضحـــك أذرف الدمـــوع كالشـــمعة
وفى الخفـاء عـــن العـــالم أنـــوح علـــى نفســـى
هـــل هنـــاك حريـــة أكـــثر مـــن أن أكـــون
أســيرا مســجونا بـــأغلال ضفـــائر الحبيـــب؟
هـــل يمكـــن أن يكـــون هنـــاك ســـرورا آخـــر
غير حزنى وتعبى فى البحث الدائم عن حبيبـــى؟
حـــين أسمـــع بـــأذنى صـــراخ الهجـــران دائمـــا
فإننى أنظر أنا عبد الرحمن إلى وجه الحبيب بدقـة
إن خـــوش حـــال[1] ودولـــت[2] مـــن عبيـــدى
فقـــد فتحـــت أنا عبد الرحمـن العالم بالأفغانيـــة

" ١٦٢٨ "

---

(١) خوش حال: هو الشاعر القدير خوش حال الذى وجه نقده إلى شعر عبـد الرحمن، فكـان هذا البيت من شعره ردا على ما قاله خوش حال فى نقد شعره. راجع ص ٣٣٩ هـ٣ مـن هذا الكتاب

(٢) دولت: هو الشيخ دولت الله اللوانى (النوحانى) من شعراء الأفغانية المشهورين فى القـرن الحادى عشر الهجرى، وهو من أبرز أنصار مدرسة بايزيد الأنصارى الأدبية، ومـن مريديـه المخلصين فى التصوف. ومن معاصرى الشاعر ميرزا خان الأنصـارى الـذى استشـهد فـى حرب دكن بالهند سنة ١٠٤٠هـ.

' ١٤٣- الغريق والهم '

مسرور أنا غارقا في آلام الحبيب وهمه
مسرور في هذه الآلام بلا طاقة، بلا احتمال
إن أنا أغرق في الماء، أو أحترق بالنار
فإنني مسرور راض بنار الشفائف الحمراء ومائها
إذا كانت هناك علامات خال[١] الحبيب وخطه[٢]
فإنني أرضى سعيدا بقراءة الكتاب معلق الرأس
الأفضل من هذا الحديث العقيم الذى اسمعه
أن استمع راضيا سعيدا إلى نغمة الربابة والنشيد
أفضل من عبادة الرياء غير المقبولة
أن أكون سعيدا راضيا بخمر[٣] الساقى[٤] وخرابها[٥]

---

(١) خال: الخال هو الشامة، وفى التصوف نقطة الوحدة الحقيقية.راجع ص ٣٣٨ هـ٣ من هذا الكتاب

(٢) خط: الرسالة والمراد منه هنا شارب الحبيب، أو خصلتا الشعر المعلقتان على طرفى وجه المحبوبة. راجع ص ٢٦٩ هـ١ من هذا الكتاب

(٣) الخمر: العشق الإلهى فى نشوته. راجع ص ٣٢٥ هـ٤ من هذا الكتاب

(٤) الساقى: هو الفياض المطلق، ويطلق على المرشد الكامل. راجع ص ١٦٣ هـ١ من هذا الكتاب

(٥) خراب: ثمل، نشوان، سكران، خرب، كلها من صفات الخمر.

إذا لم يكن هنالك انشغال بالعلم والتسبيح والتلاوة
فإننى أسعد راضيا بالنوم من مثل هذه الصحوة
مهما عظمت مرتبة السكوت ودرجة الصمت
فإننى أفضل راضيا سعيدا الحوار مع الحبيب
لا أفضل ولا أرضى بظل شجرة طوبى[1]
وأسعد راضيا بلحم مشوى محروق بلهيب نار وجهك
أعجزنى كثيرا حزن الحبيب وكثرة غمومه
من هنا أرضى أنا عبد الرحمن سعيدا بشرب الخمر[2]

" ١٦٣٧ "

' ١٤٤ - السعيد بآلام المعشوق '

مبتهج أنا بآلام الحبيب وهمه
كالوردة ضاحك وقت الحزن
لا تنظر إلى كونى وحيدا بلا أهل
فقد حفظنى الله كالكنز فى الغلاة
إننى عامر مزدهر فى الدمار والخراب
كالشجرة المملوءة بالثمر فى الغابة[3]

---

(١) طوبى: فى القرآن ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ الرعد ٢٩، وطوبى اسم شجرة فى الجنة

(٢) الخمر:العشق الإلهى.راجع ص ٣٢٥ هـ٤ أيضا

(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية

لا تخلو من العشق شعرة واحدة فى جسدى
إننى حارس قافلتى فى كل لحظة
منحتنى حبوب الدموع طير الوصال[1]
فأصبحت عقدا فى جيد الحسان كالدر والياقوت
ببركة العقيدة المتينة الكاملة
أصبحت ملكا للعالم[2] جالسا بجوار مجمر الدراويش
تحصلت الضياء وأدركته فى الطلب
أسير فى الطريق كالشمس ليلا ونهارا
إلى متى سأصف ضفائر الحبيب الطويلة؟
فإننى أسير فى طريق الهند العام راجلا
لا شأن لمظهرى بدون الحبيب وفراقه
فشأنى شأن الدكان الخالى من البضاعة
إن بلبل الهوس لا يعتمد على
لأننى شجيرة الخريف الصغيرة فى نجيلة الإفلاس

---

(١) الوصال: هو أن يتصل سر الصوفى بالحق بحيث لا يرى سواه. راجع ص ٣٥٠ هـ١ من هذا الكتاب.

(٢) أصبحت ملكا للعالم: هذه ترجمة " شاه جهان ".. شاه: الملك، وجهان: العالم، و " شاه جهان " اسم أحد ملوك المغول فى الهند، وكان اسمه الحقيقى " خرم " قبل توليه الحكم فعبارة " شاه جهان " المستعملة فى النص الأفغانى تحتمل هذين الاحتمالين.راجع ص ٢٥٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

إننـــى كالـــتراب تحـــت أقـــدام الأحبـــاب
وكـــالرأس لبقيـــة العـــالم فـــى علـــو الســـماء
أنـثر مـالى، وأضحـى برأسـى فـى حـب الحبيـب
أيهـا النـاس، اسمعـوا.. فذلـك هـو عبـد الرحمـن
إن أنـــا أشـــاهد مشـــاهد جديـــدة كـــل وقـــت
فـإنى أنـا عبد الرحمـن فـى حـيرة مـن عنايـة الرحمـن

" ١٦٥٠ "

' ١٤٥- الهارب من نفسه '[1]

إننـــى هـــارب مـــن نفســـى فـــى كـــل وقـــت
ومـــن هنـــا فـــإننى كـــدرر البحـــر ومعادنـــه
الموت صعب مر إن أصبحت حياة الإنسان حلـوة
إن سـرورى بـالهجران أكـثر مـن وصـل الحبيـب
إن عدم علمى وجهلى أصبح علما، فأنا كـالطفل
عفيـف طـاهر داخـل قطعـان الثـيران القـذرة
حـين قمـت بتسـخير مملكـة الحـرص للنفـس
فإننى قد أصبحت عرش سليمان أسـير فـى الهـواء

---

(١) ديـوان عبـد الرحمـن ١٠٦ تحقيـق لفيـف مـن علمـاء الأفغـان،أكاديميـة الپشـتو،كـابل ١٣٥٦هـ ش / ١٩٧٧م، ولم يأت ذكر هذه القصيدة فى ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية الپشتو، پشاور ١٩٨٧م، كذلك لم يأت ذكرها فـى ديوانـه مقدمـه سيد رسـول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

دع بدنى، فإن الحبيب قد خطف قلبى أيضا
وعبثا أقوم بحراسة دار خالية من الأثاث
إننى أعيش حيا بين الأحياء والأموات
كالوردة التى قمت بقطعها وهى معلقة[1]
يبدو لى نفسى وليا حينا، وعاصيا حينا آخر
ليس لدى خبر عن كمالى ولا عن نقصانى
إن محبوبى منقوش مرسوم فى قلبى
بحيث لا أدرى أعبد الرحمن أنا أم محبوب؟

" ١٦٥٨ "

' ١٤٦- المجروح ونظرة المحبوب '

مجروح مجروح أنا بنظرات الأحباب
وأكثر من هذا بأننى أتقطع فى الموئل
أنا سجين سجن الذقن الشبيه بالتفاح
الذى يعيش فيه الآلاف من أمثال يوسف[2]
حين لا أرى هندام الحبيب بعينى
فإننى عندليب[3] على رأس سرو[4] آهاتى

---

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٣) عندليب: اسم طائر يسمى بالهزار.

(٤) السرو: شجرة معروفة.

رغبة ملحة فى الوجه الأبيض والشعر الأسود
إننى مدين وشاكر لكل أبيض وأسود
مثل راكب على حمار وقد اسود وجهه
فإننى كذلك أسود الوجه أمام ربى
أتحمل مشقة كلام الرقيب لأجل الحبيب
وأدعو الله بالخير والبركة للصالح والطالح
لا أعلم غير العشق عيبا كان أو فضلا
فإننى ليس لدى علم بالعبادة والإثم
فقد أمال الله غصن ضفائره بلطفه وكرمه
وإلا فإننى قصير مقارنة بقامة الحبيب
يبدو لى نفسى غير مفيدة بالضرورة
منذ ذلك اليوم الذى تم فيه إطلاعى وعلمى
إن عدم الصبر فى وصال الحبيب جعلنى مهجورا
فأنا " الآن "[1] عشب يابس فى مرج الربيع
أقوم بضرب صدرى أولا ثم أقول آها
فأجعل ديك السحر ساكتا بالصرخات

---

(١) الآن: أنا الذى أضاف هذه الكلمة والسياق الشعرى يقتضيها.

جذبنـــــى إلى نفســـــه بجذبـــــات وراء جذبـــــات
فحبيبـــــى هـــــذا خـــــاطف التـــــبن وأنـــــا تبنـــــه
كثمـــر الشـــجر عندمـــا ينضـــج يتســـاقط متنـــاثرا
هكذا ربطنى الحبيب وشد وثاقى على قارعة الطريق
لم يبـــق لى الآن مكـــان فـــى هـــذا العـــالم
فقـــد تحركـــت حتـــى الأربعـــين أو الخمســـين
إن عـــلاج الرقيـــب ســـهل، ولكـــن الصعوبـــة
فـى أن الحبيـب لا يعتمـد علـى أنـا عبد الرحمـــن[1]

" ١٦٧٣ "

---

(١) كنت أقوم بترجمة هذه القصيدة، وفتحت جهاز الراديو لسماع نشرة الأخبار من إذاعة صوت أمريكا باللغة الأفغانية فى الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم الجمعة الموافق الخامس من برج الحمل عام ١٣٧٣هـ ش / ١٣ من شوال عام ١٤١٤هـ / ٢٥ مارس ١٩٩٤م، بتوقيت المملكة العربية السعودية، فسمعت نبأ وفاة الشاعر الشهير أمير حمزة شينوارى فى برنامج خاص أعد بمناسبة وفاته. وأعلن المذيع أن الشاعر أمير حمزة شينوارى قد وافته المنية فى يوم الجمعة الموافق ٢٩ من برج الدلو سنة ١٣٧٢هـ ش / ٨ رمضان سنة ١٤١٤ هـ / ١٨ فبراير سنة ١٩٩٤م فى مدينة پشاور، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه فى وادى " خيبر " وكان الشاعر أمير حمزة شينوارى من أبرز شعراء الغزل الصوفى فى العصر الحديث. وله أعمال أدبية كثيرة منها ترجمة ديوان عبد الرحمن إلى اللغة الأردية شعرا. وكان عمره عند وفاته ٨٧ سنة.

' ١٤٧- همك لا يفارقنى لحظة '

إننى لست بلا هم من همك لحظة واحدة
لست بلا هم من ذكرك وفكرك لحظة واحدة
أنت المقصود فى كل مزار قمت بزيارته
فإننى لست بزائر لفناء معبد الأصنام
إننى راض سعيد بالتراب الأسود لبابك
ولست راضيا سعيدا بدونك بمشاهدة إرم[١]
منذ أن عرفت وتنبأت بمشاهدتك
بعد ذلك لا أدرى شيئا عن مشاهدة العالم
لا انتظار لى ولا التفات بمقدار سم الخياط[٢]
إلى وجه آخر غير وجهك الجميل[٣]
إن كان عشاق وجهك الجميل كثيرين
فإننى أول هؤلاء العشاق ولست ثانيهم
لو لم أمت من شدة همك، فقل حينئذ
بأننى إما شيطان أو دابة، ولست آدميا

---

(١) إرم: معنى البيت أو كلمة " إرم " مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد ۞ إرم ذات العماد** ﴾ سورة الفجر ٦ و٧.

(٢) سم الخياط: معنى البيت ينظر إلى قوله تعالى: ﴿ **ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط** ﴾ سورة الأعراف ٤٠.

(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إننـى فـى الصـدق مسـتقيم القامـة كـالألف
لسـت كالسـهم أنطلـق مسـتقيما إلى الفسـاد
إن قلبـى مقطـع بغمزتـك، فقـد قـام الجهـاد وتم
إن كنـت سـالم اليديـن والرجلـين فلسـت بملـوم
إننى معقـوص الضفـائر ومحراب الحواجب العوجـاء
ولسـت معقوصـا منحنيـا انحنـاء الأفعـى والعقـرب
إن كان هناك قليل أو كثير من الأمور تقوم بـه يـدى
فـإننى إنسـان لـه بطـن، ولسـت بـلا بطـن
أنـا عبـد الرحمـن أذرف الدمـوع بسـبب الفـراق
لأن الفراق حدث صعب جدا فلست بملوم فى ذلـك

" ١٦٨٥ "